مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ - إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحَكَّمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

العدد الخامس والثلاثون

لسنة 1443 هجرية الموافق: 2021 ميلادية

تنوع لفظ الكتاب
في القرآن الكريم ومعانيه

د. أبو بكر محمد أبو سوير
عميد كلية الدعوة الإسلامية
طرابلس - ليبيا

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم بالحق نوراً وهدىً للعالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلىٰ آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد،

فلا جرم أن خير الكلام كلام الله، وهو سبيل النجاة في سائر الأزمان والأحوال، من تمسك به رشد واستقام، ومن هذا المنطلق لا خلاص لهذه الأمة من هذا الواقع الذي تعيشه، والبؤس الذي تحياه، إلا أن تجعل القرآن الكريم سبيل نجاتها وحبل خلاصها، به تحيا وفي ضوئه تسير، وعلىٰ منهجه تموت.

فإن علم تفسير القرآن من أرفع العلوم قدرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا؛ إذ هو العلم الخاص بكتاب الله تعالىٰ، الذي يعدُّ مصدر الهدىٰ والرشاد للناس كافة وللمؤمنين خاصة.

وقد عكف العلماء علىٰ كتاب الله ـ عز وجل ـ تلاوة وحفظًا ودراسةً وتفسيرًا،

فكثر التصنيف فيه، وزاد الاهتمام به، فمنهم من آثر الاختصار، ومنهم من طول، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل الأقوال للناس، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق، وبالنظر والتأمل في كلمات القرآن الكريم ومصطلحاته، يتبيّن لنا جميعًا، أن الكلمات والآيات قد تتشابه في الألفاظ، لكنها في المعاني تختلف، فعن أبي العباس أنه قال: «وهذا باب - أي التكرار - ما علمت أني وجدت منه في القرآن الكريم شيئًا، وهو ينسب إلى التكلّف، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا... وأما ما قيل من أنها معان تكررت في القرآن فإنه أمر أشد صعوبة، وأبعد خطرًا، فقد تجيء هذه المعاني في نظائر مختلفة الألفاظ، ومسالك الأداء، فتبلغ في تصرفها وتعدد أساليبها حدًا معجزًا، قد لا يمر أحد مهما تكشف له من بلاغة القرآن، إلا أن تغيب عنه أسرار هذه النظائر والأشباه»[1] هذا ما دفعني للكتابة في القرآن الكريم، فاخترت لفظ الكتاب وتنوعه في القرآن الكريم، معانيه عندما يكون منفردًا، ومعانيه عندما يكون مقترنًا بضمير أو بكلمة أخرى، ولذا وسمته: **تنوع لفظ الكتاب في القرآن الكريم ومعانيه**.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع في عدة نقاط نذكر منها الآتي:

1. معرفة أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع كثيرة على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر.
2. القرآن الكريم نزل معجزة للنبي -صلى الله عليه وسلم- لتحدي العرب في فصاحتهم وبيانهم، فإذا رأيت شيئًا مكررا من حيث الظاهر، فانظر في سوابقه ولواحقه، لينكشف لك مزيد الفائدة من إعادته[2].

(1) ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان ص 17 وحقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي، ص 82.

(2) ينظر: جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي ص 68.

3. التكرار في معاني الألفاظ والكلمات، ومعرفة أن الإنسان تغيب عنه هذه الأشباه والنظائر.

أسباب اختيار الموضوع:

العيش مع كتاب الله - تعالى - في تدبر آياته، ومعرفة كلماته، والتدقيق في ألفاظه، ومعرفة الوجوه والنظائر التي بحثها الكاتبون والمفسرون واللغويون، وهو دارسة لتعدد الدلالة في سياق القرآن الكريم، فقد روي عن أبي الدرداء موقوفا: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة»[1].

تقسيم البحث:

قسم الباحث البحث إلى مقدمة، وسبعة مطالب، وخاتمة، والمصادر والمراجع.

فالمقدمة: تتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتقسيمه.

المطلب الأول - دلالة الكتاب، والسور التي ورد فيها وآياتها: وفيه

الفرع الأول - الكتاب عند اللغويين.

الفرع الآخر - ورود لفظ الكتاب في السور والآيات.

المطلب الثاني - اقتران لفظ الكتاب بغيره من الألفاظ في القرآن الكريم.

الفرع الأول - كتاب الله.

الفرع الآخر - أهل الكتاب.

المطلب الثالث - الكتاب بمعنى الكتابة.

المطلب الرابع - الكتاب بمعنى الحساب ومعنى اللوح المحفوظ.

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (144/2).

الفرع الأول - الحساب.

الفرع الآخر - اللوح المحفوظ.

المطب الخامس: الكتاب بمعنى العدة ومعنى الفرض.

الفرع الأول - الكتاب بمعنى العدّة.

الفرع الآخر - الكتاب بمعنى الفرض.

المطلب السادس- الكتاب بمعنى أعمال بني آدم ومعنى الرزق والأجل.

الفرع الأول - الكتاب بمعنى الأعمال.

الفرع الآخر - الكتاب بمعنى الرزق والأجل.

المطلب السابع - الكتاب بمعنى القرآن ومعنى التوراة والإنجيل.

الفرع الأول - الكتاب بمعنى القرآن.

الفرع الآخر - الكتاب بمعنى التوراة والإنجيل.

الخاتمة - تتضمن أهم نتائج البحث.

المصادر والمراجع.

والله - تعالى - أسأل التوفيق والسداد، إلى ما فيه خير أمتنا وصلاحها.

المطلب الأول - دلالة الكتاب، والسور التي ورد فيها وآياتها.

الفرع الأول - الكتاب عند اللّغويين.

عندما نرجع إلى المعاجم اللّغوية يتبين لنا أنّ الكتاب يرجع إلى جدر (كتب) والجمع منه بالضم، فالكتاب مصدر على زنة (فعال)، وفي تهذيب اللغة: «الكتاب مصدر كَتَبَ، ومعنى الكتابة أن يكاتب الرجل عبده وأمته»[1]، وفي لسان العرب: «الكتاب: معروف، والجمع كُتُبٌ وكُتْبٌ، كَتَب الشيء يكْتُبُه: كَتْبًا وكِتَابَةً وكِتَابا وكِتَابَةً، وكَتَّبَهُ: خَطَّه»،[2] قال ابن الأثير: «الكتاب مصدر يقال: كَتَبَ يَكْتُبُ كتَاباً وكتَابةً، ثم سُمّي به المكتوب»[3]، وفي الكليات: «كتَابًا وكتَابةً، وكتبة أي: خطّ»[4]، وفي الصحاح: «الكتَابُ معروف، والجمع كتُبٌ، وقد كَتَبْتُ كتُبًا وكتَابًا وكتَابَةً، والكتَاب: الفرض والحكم والقدر، والكُتَّابُ: سهم صغير مدّور الرأس يتعلم به الصبي»[5].

وفي القاموس: «كَتَبَهُ كَتْبًا وكِتَابًا: خَطَّهُ»[6].

ومن خلال ما ذكرناه من أقوال العلماء اللّغويين يتبيّن لنا أن الكتاب هو من الألفاظ التي تدّل على عدة معان واللفظ واحد، فبين ذلك الجوهري في الصحاح، وابن منظور في لسان العرب، أنه يدل على الفرض والحكم والقدر وغيرها من المعاني.

الفرع الآخر: ورود لفظ الكتاب في السور والآيات:

مما سبق ذكرنا أقوال علماء اللّغويين فتبيّن لنا أن أصل الكتاب (كتب) فورد

(1) تهذيب اللغة 87/10 (مادة: كتب).
(2) لسان العرب لابن منظور 700/1 (مادة: كتب).
(3) النهاية في غريب الحديث والأثر 147/4 (مادة: كتب).
(4) لأبي البقاء الكفوي 767/1.
(5) للجوهري 208/1. (مادة: كتب).
(6) للفيروزآبادي 128/1 (مادة: كتب).

لفظ كُتُب بصيغة الجمع في القرآن الكريم، في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾[1] وفي قول الله تعالىٰ: ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[2].

وذكر الله – سبحانه وتعالىٰ – لفظ الجمع واقترانه باللام أو بضمير كقوله تعالىٰ: ﴿ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[3] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾[4] وقوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[5].

وذكر لفظ (كَتَبَ) مبني للمعلوم، كما في قوله الله تعالىٰ: ﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[6].

وقول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[7] وقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[8] وقوله تعالىٰ: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[9] وقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[10] وقوله تعالىٰ: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِى ﴾[11] وقوله تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾[12] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾[13].

وورد لفظ (كُتِب) مبني للمجهول، كما في قول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(1) سورة سبأ من الآية (44).
(2) سورة البينة من الآية (3).
(3) سورة النساء، من الآية (136).
(4) سورة التحريم من الآية (12).
(5) سورة الأنبياء من الآية (104).
(6) سورة البقرة من الآية (147).
(7) سورة المائدة من الآية (21).
(8) سورة الأنعام من الآية (12).
(9) سورة الأنعام من الآية (54).
(10) سورة التوبة من الآية (51).
(11) سورة المجادلة من الآية (21).
(12) سورة المجادلة من الآية (22).
(13) سورة الحشر من الآية (3).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾[5] وفي قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ ﴾[6] وقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿ لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾[8] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾[9] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾[10] وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ ﴾[11].

وقد ورد لفظ (الكتاب) في القرآن الكريم كثيرًا تتنوع فيه ألفاظه وتصرفت فيه معانيه فجاءة علىٰ عشرة أوجه، فجاءة بمعنىٰ الكتابة، والحساب، واللوح المحفوظ، والعدة والأعمال، والرزق والأجل، والقرآن، والتوراة والإنجيل، والفرض.

وعند التأمل في لفظ (الكتاب) في الاستعمال القرآني نجد أن كلمة الكتاب

(1) سورة البقرة من الآية (178).
(2) سورة البقرة من الآية (180).
(3) سورة البقرة من الآية (183).
(4) سورة البقرة من الآية (216).
(5) سورة البقرة من الآية (246).
(6) سورة آل عمران من الآية (154).
(7) سورة النساء من الآية (77).
(8) سورة النساء من الآية (127).
(9) سورة التوبة من الآية (120).
(10) سورة التوبة من الآية (121).
(11) سورة الحج من الآية (4).

ذكرت كثيرا معرّفةً بـ (أل)، وذكرت أيضاً غير معرّفةً بـ (أل)، وذكرت مضافةً، وذكرت مقترنةً: فمثلا: معرّفةً بـ (أل) ذكرت نحو (36) مرة كقول الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1] وفي سورة البقرة أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[2]، وأيضا في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3]، وغيرها كثير.

وورد لفظ كتاب في القرآن الكريم غير معرّف بـ (أل) بنحو (151) مرة، كقول الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾[4].

وفي سورة آل عمران: ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾[5] وفي سورة آل عمران أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾[6].

وفي سورة النساء قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[7] وأحيانا يأتي لفظ الكتاب بصيغة المفرد، كقول الله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[8] وقول الله تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾[9]. وأيضا قول الله تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾[10].

وجاء لفظ (الكتاب) بصيغة الجمع كقول الله تعالىٰ في سورة سبأ ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم

(1) الآية (2).
(2) الآية (44).
(3) سورة البقرة من الآية (53).
(4) من الآية (101).
(5) من الآية (23).
(6) من الآية (81).
(7) من الآية (24).
(8) من الآية (153).
(9) من الآية (7).
(10) من الآية (93).

مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾[1] وكذلك قول الله تعالىٰ في سورة البيّنة: ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[2].

وجاء لفظ (الكتاب) أيضاً مضافًا إلىٰ ضمير المتكلم، كقول الله تعالىٰ في سورة النمل: ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[3].

وورد لفظ (الكتاب) مضافًا إلىٰ ضمير الجمع كقول الله تعالىٰ في سورة الصافات: ﴿ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[4]. وفي قول الله تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[5].

وورد لفظ (الكتاب) في القرآن الكريم مضافا إلىٰ ضمير المخاطب كقول الله تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[6].

وذكر لفظ (الكتاب) مضافا إلىٰ ضمير الغائب كقول الله تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾[7]، وقول الله تعالىٰ في سورة الحاقة وسورة الانشقاق: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾[8]، وقول الله تعالىٰ في سورة الحاقة أيضا ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾[9].

وقول الله تعالىٰ في سورة الانشقاق: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾[10].

---

(1) من الآية (44).
(2) من الآية (3).
(3) الأية (28).
(4) الآية (157).
(5) من الآية (71).
(6) الآية (4).
(7) من الآية (71).
(8) سورة الحاقة من الآية (19)، وسورة الانشقاق من الآية (7).
(9) من الآية (25).
(10) من الآية (10).

المطلب الثاني - اقتران لفظ (الكتاب) بغيره من الألفاظ في القرآن الكريم.

قد يأتي لفظ (الكتاب) في القرآن الكريم مقترنا بألفاظ أخر متلازمة معه، فيتغير معنى الكلمة إلى مفهوم أعم نذكرها على النحو الآتي:

الفرع الأول - كتاب الله:

ورد لفظ الكتاب مقترنًا بلفظ الجلالة في تسع مرات بمعان مختلفة بحسب سياق الآية: قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[1]. قال في التبيان في إعراب القرآن: «﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول أوتوا، و﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ مفعول نبذ»[2]، وقال البغوي في تفسيره: «كتاب الله يعني التوراة وقيل القرآن»[3].

وقال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾[4].

والمراد بـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ أي: اليهود، ومعنى يدعون إلى كتاب الله، أي: يدعون إلى اتباع القرآن، والنظر في معانيه؛ ليحكم بينهم فيأبون، ويجوز أن يكون كتاب الله عين المراد من الكتاب، وإنما غيّر اللفظ تفنّنا وتنويها بالمدعوّ إليه، أي: يدعون إلى كتابهم ليتأمنوا منه[5].

وقال الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[6]، ومعنى ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ألزموه واهتدوا به فإن فيه الشفاء

(1) من الآية (101).
(2) 1/90.
(3) معالم التنزيل 147/1.
(4) من الآية (23).
(5) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 210/3.
(6) من الآية (24).

والنور، وتفصيل الحلال والحرام[1].

وقال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾[2] قيل إن الربانيين فاعل محذوف والباء صلة له، والجملة معطوفة على ما قبلها، أي: ويحكم الربانيون والأحبار بحكم كتاب الله تعالى، الذي سألهم أنبياؤهم أن يحفظوه من التغيير، وكانوا عليه شهداء[3].

وفي سورة الأنفال عند قول الله تعالى: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾[4]. أي: في حكمه، أو في اللوح المحفوظ، أو في القرآن[5].

وفي سورة التوبة عند قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[6]. ومعنى ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ في اللوح المحفوظ، أو فيما أثبته وأوجبه[7].

وفي سورة الروم عند قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾[8]. والمراد من قوله تعالى: ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في علمه أو قضائه أو ما كتبه وعيّنه، أو في اللوح المحفوظ، أو القرآن الكريم[9].

وفي سورة الأحزاب في قول الله تعالى: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى

(1) ينظر: تفسير السعدي 174/1.
(2) من الآية (44).
(3) ينظر: روح المعاني للألوسي 313/3.
(4) من الآية (75).
(5) ينظر: فتح القدير للشوكاني 376/2.
(6) من الآية (36).
(7) ينظر: تفسير أبي السعود 63/4.
(8) من الآية (56).
(9) ينظر: تفسير أبي السعود 66/7.

﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾[1] . ومعنى قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، أو فيما أنزله من القرآن أو فيما فرضه[2].

وفي سورة فاطر عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[3]. ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: القرآن[4]

الفرع الآخر - أهل الكتاب:

وقد ورد لفظ ﴿كِتَٰبَ﴾ مقترنا بـ ﴿أَهْلِ﴾ في (31) مرة في القرآن الكريم، وعند التدقيق وجدنا أنها أحيانا تدل على أهل الكتاب كلهم الانجيل والتوراة والقرآن، وأحيانا أخرى يقتصر المعنى على أحد منهم، ويوضح ذلك سياق الآية ومعناها عند المفسرين، ورد مرتين في سورة البقرة ونذكر منها قول الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[5]، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركين[6].

وورد (12) مرة في سورة آل عمران، نذكر منها قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[7]، نزلت في القسيسين والرهبان[8] .

و(4) مرات في سورة النساء، نذكر منها قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[9]، قال قتادة والسدي: تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب، قال أهل

(1) من الآية (6).
(2) تفسير أبي السعود 91/7.
(3) الآية (26).
(4) ينظر: تفسير أبو السعود 152/7.
(5) من الآية (105).
(6) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي 636/3.
(7) من الآية (64).
(8) ينظر: البحر المحيط 193/3.
(9) من الآية (123).

الكتاب للمؤمنين: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أحق بالله منكم[1] .

و(6) مرات في سورة المائدة، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[2]، وقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ يعني اليهود والنصارىٰ، ووحد الكتاب لأنه للجنس[3] .

ومرة في سورة العنكبوت، في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[4]، ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾: اليهود والنصارىٰ في اصطلاح القرآن، والمقصود هنا اليهود، فهم الذين كانوا كثيرين في المدينة والقرىٰ حولها[5].

ومرة في سورة الأحزاب، في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ ﴾[6]. ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾، أي: اليهود[7].

ومرة في سورة الحديد، عند قول الله تعالىٰ: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾[8]، الخطاب هنا لأهل الكتاب الذين آمنو بموسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام[9].

ومرتين في سورة الحشر، كقول الله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن

(1) ينظر: تفسير القرطبي 396/5.
(2) من الآية (15).
(3) تفسير البيضاوي 119/2.
(4) من الآية (46).
(5) ينظر: التحرير والتنوير 6/21.
(6) من الآية (26).
(7) ينظر: تفسير السعدي 660/1.
(8) من الآية (29).
(9) ينظر: تفسير السعدي 843/1.

﴿دِيَارِهِمْ﴾[1]، ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم يهود بني قريضة[2].

ومرتين في سورة البينة، في قول الله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[3]، ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: اليهود والنصارىٰ[4].

المطلب الثالث - الكتاب بمعنى الكتابة:

الكتابة: كَتَبَ كَتْبًا من باب قتل وكِتْبةً بالكسر وكِتابا، والاسم الكتابَةُ؛ لأنها صناعة كالنجارة والعطارة، والكتاب علىٰ المكتوب، ويطلق الكتاب علىٰ المنزّل، وعلىٰ ما يكتبه الشخص ويرسله[5]، قال ابن الأثير: «الكتابة أن يكاتب الرجل عبده علىٰ مال يؤديه إليه منجماً، فإذا أدّاه صار حرّا»[6].

قال ابن منظور: «سميت كتابة، بمصدر كتب؛ لأنه يكتب علىٰ نفسه لمولاه ثمنه ويكتب مولاه له عليه العتق، وقد كاتبه مكاتبة، قال وإنما خص العبد بالمفعول؛ لأن أصل المكاتبة من المولىٰ، وهو الذي يكاتب عبده. قال ابن سيده كاتبت العبد: أعطاني ثمنه علىٰ أن أعتقه. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾»[7].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[8]، قال الطبري في تفسيره: «الكتاب بمعنىٰ الخط»[9].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا

(1) الآية (2).
(2) ينظر: تفسير الطبري 259/23.
(3) الآية (1).
(4) تفسير الماوردي 315/6.
(5) ينظر: المصباح المنير 524/2(مادة: كتب).
(6) النهاية في غريب الحديث والأثر 148/4.
(7) ينظر لسان العرب 1/ 700 (مادة: كتب).
(8) سورة المائدة من الآية (110).
(9) جامع البيان 115/9.

بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[1]، قال أبو السعود في تفسيره: «﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: ما كتبوه من التأويلات الزائغة ﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ تأكيداً لرفع التوهم المجاز، كقولك: كتبته بيميني»[2].

وقال الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا ﴾[3]، ﴿ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ أي:كتبها لنفسه على الإسناد المجازيّ، أو استكتبها، وقرئ على البناء للمفعول؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- أميّ، وأصله اكتتبها له كاتب، فحذفت الأم وأفضي الفعل إلى الضمير ، فصار اكتتبها إياه كاتب[4].

وقيل قالوا ذلك لظنهم أنه يكتب حقيقة أو لمحض الافتراء عليه - صلى الله عليه وسلم - بناء على علمهم أنه لم يكن يكتب ﷺ[5].

وذكر في القرآن أدوات الكتابة كالصحيفة والقلم.

الفرع الأول- الصحيفة:

صُحُفٌ: الصُّحُفُ جمع الصحيفة، ويخفف ويثقل، مثل سفينة وسفن، نادرتان، وقياسه: صَحائف وسفائن، وسمّي المصحف مّصْحَفًا، أي: أصْحَف، أي: جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين[6].

فالصحيفة والدواة: كتاب، قاله ابن منظور في لسان العرب[7] تأتي (الصحيفة) أحيانًا بمعنى الكتب كقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي

(1) سورة البقرة من الآية 89.
(2) تفسير أبي السعود 178/1.
(3) سورة الفرقان من الآية (5).
(4) ينظر: تفسير أبي السعود 524/4.
(5) ينظر: روح المعاني للألوسي 18 570.
(6) كتاب العين للفراهيدي 120/3، (مادة: صحف).
(7) 699/1. (مادة: صحف).

﴿ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1]. أولم تأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم، التي أهلكناهم لما سألوا الآيات، فكفروا بها لما أتتهم كيف عجّلنا لهم العذاب[2].

ونظيره قول الله تعالىٰ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾[3] قال القرطبي في تفسيره: «﴿صُحُفًا﴾، جمع صحيفة، وهي ظرف مكتوب»[4]. وقال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز: «وقيل الصحف المطهرة في السماء»[5].

الفرع الآخر- الفرق بين الصحيفة والدفتر:

أن الدفتر لا يكون إلا أوراقًا مجموعة، والصحيفة تكون ورقة واحدة، تقول عندي صحيفة بيضاء، فإذا قلت: صحف، أفدت بأنها مكتوبة، وقال بعضهم، يقال: صحائف بيض، ولا يقال صحف بيض، وإنما يقال: من الصحائف إلىٰ صحف؛ ليفيد أنها مكتوبة، وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[6].

الفرع الثالث- القلم:

القاف، واللام، والميم، أصلٌ صحيح يدل علىٰ تسوية شيء عند بريه وإصلاحه، وسمّي به؛ لأنه يقلم منه كما يقلم من الظفر[7].

والقلم الذي يكتب به، وإنما سمّي قلماً لأنه قُلّم مرّة بعد مرّة[8].

(1) سورة طه من الآية (133).
(2) ينظر: تفسير الطبري 5663/7.
(3) سورة البينة من الآية (2).
(4) 20/123.
(5) ص 1995.
(6) الفروق اللغوية للعسكري 291/1.
(7) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس 16.15/5 (مادة: حكم).
(8) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري 9/ 148 (مادة: حكم).

قال الله تعالىٰ: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[1]، قال ابن عطية في تفسيره: «فمن قال بأن اسم الحوت جعل ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ القلم الذي خلقه الله تعالىٰ وأمره فكتب الكائنات وجعل الضمير في ﴿يَسۡطُرُونَ﴾ للناس»[2].

وقول الله تعالىٰ ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾[3]، أن المراد من القلم الكتابة التي تعرف بها الأمور الغائبة، وجعل القلم لعل المراد: كتابة عنها، وقيل: أن المراد علم الإنسان الكتاب بالقلم، وكلا القولين متقارب؛ إذ المراد التنبيه علىٰ فضيلة الكتابة، ويروىٰ أن سليمان -عليه السلام- سأل عفريتاً عن الكلام، فقال ريح لا يبقىٰ، وقال فما قيده، قال: الكتابة[4].

المطلب الرابع- الكتاب بمعنى الحساب ومعنى اللوح المحفوظ.

الفرع الأول- الحساب:

الحاء، والسين، والباء، وحسبت الحساب أحسِبه حسبا من الحساب، وحسبت الشيء أحسبه حسبانًا، من قولهم: حسبت كذا في معنىٰ ظننت، وكذلك حسبته محسَبة ومحسِبة، والكسر أجود[5].

وإنما سمّي الحِساب في المعاملات حِسَاباً؛ لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيه زيادة علىٰ المقدار ولا نقصان[6]، علىٰ الله حسباني إذا النفس أشرقت : علىٰ طمع أو خاف شيئا ضميرها، قال الله تعالىٰ: ﴿كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾[7] ، أي: إلىٰ حسابها[8].

(1) سورة القلم الآية (1).
(2) المحرر الوجيز 1882.
(3) سورة العلق من الآية (4).
(4) ينظر: التفسير الكبير للرازي 18/32.
(5) جمهرة اللغة للأزدي 277/1.
(6) ينظر: تهذيب اللغة 192/4.
(7) سورة الجاثية من الآية (28).
(8) ينظر: معاني القرآن للفراء 48/3، وغريب القرآن لابن قتيبة ص 405.

وقال السمعاني في تفسيره: «أي: إلى قراءة كتابها»[1]، وقال فخر الدين الرازي: «﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ على الابتداء وكل أمة على الابدال من كل أمة، وقوله إلى كتابها أي: إلى صحائف أعمالها، فاكتفى باسم الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾[2] والظاهر أنه يدخل فيه المؤمنون والكافرون»[3].

الفرع الآخر- اللوح المحفوظ:

اللوح في اللغة بمعنى: صحيفة من صحائف الخشب، والكتف إذا كتب عليه، سمّي لوحًا، وألواح الجسد عظامه، ما خلا قصبة اليدين أو الرجلين؛ بل الألواح من الجسد كل عظم فيه عرض، واللوح العطش، وقد لاح يلوح إذا عطش[4].

وقيل هو لوح في السماء مكتوب فيه، وأنه من نور، وقيل هو على التشبيه، أي: هو في حفظ الله، وكأنه في لوح[5].

اللوح المحفوظ ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[6].

ومعنى قوله: ﴿فِى لَوْحٍ﴾ أي: في الهواء فوق السماء السابعة، ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ بالجر من الشياطين، ومن تغيّر شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء[7]، وقيل: اللوح من الياقوت حمراء، أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك يقال له: ماطربون، كتابه من نور، وقلمه

(1) تفسير القرآن 144/5.
(2) سورة الكهف من الآية (49).
(3) التفسير الكبير 680/27.
(4) ينظر: تهذيب اللغة 160/5، (مادة: لوح).
(5) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لابن سعيد الحميري 6133/9.
(6) سورة البروج الآية (22).
(7) ذكره الإمام سليمان بن عمر العجيلي في تفسير الفتوحات الإلهية ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما 289/8-290.

نور[1]، وقال الزمخشري: واللواح الهواء؛ يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح[2].

ذكر الله تعالى لفظ الكتاب بمعنى اللوح المحفوظ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[3]، هو اللوح المحفوظ، أي: مكتوب فيه ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: نخلقها[4]، والهاء في قوله تعالى: ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ عائدة إما على الأرض أو النفوس أو المصائب أو الجميع[5].

وقول الله تعالى: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾[6]، قيل: اللوح المحفوظ، أي: محفوظ من الشياطين أو محفوظ فيه كل شيء، وقيل عبارة عن العلم والإحصاء[7].

وقال أبو القاسم الكرامي[8]: «اللوح المحفوظ، وكتاب الحفظة ثم قال والغريب أن الكتاب عبارة عن العلم والإحصاء، وأنشد بيت أبي تمام فقال:

إذا شئت أن تحصي فواضل كفِه فكن كاتبه أو فاتخذ لك كتابا»

****

المطلب الخامس- الكتاب بمعنى العدة ومعنى الفرض.

الفرع الأول - الكتاب بمعنى العدة

العدة في اللغة: من العدد، العدة إنما هي المعتدة، وأعد يَعُدّ، إنما هو أعتَد يُعْتِد، ولكن أدغمت التاء في الدال، وجائز أن يكون الأصل أعددت ثم قلبت

(1) ذكره القرطبي في تفسيره 260/19، وقال: «وهو من الإسرائيليات».
(2) ينظر: الكشاف 733/4.
(3) سورة الحديد من الآية (22).
(4) ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان 110/10.
(5) ذكره القرطبي في تفسيره 257/7.
(6) سورة ق الآية (4).
(7) ينظر: تفسير القرطبي 4/17.
(8) غرائب التفسير وعجائب التأويل 1128/2.

إحدىٰ الدالين تاء، وجائز أن يكون عتد بناء علىٰ حِدةٍ، وعدّ بناء مضاعفًا[1].

والعدة تجعل اسمًا ومصدرًا للعدد، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾[2]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[3].

والعدة الاسم من الاعتداد، وعدة المرأة المدة التي تتربص بنفسها؛ لجواز رجعة زوجها عليها فيها، وهي علىٰ ضربين عدّة عن وفاة، وعدّة عن ارتفاع النكاح بطلاق أو فسخ[4].

ورد في القرآن الكريم العدة بلفظ الكتاب عند قول الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾[5].

قال القرطبي في تفسيره: «يريد تمام العدة، والكتاب هنا هو الحدّ الذي جُعل والقدر الذي رُسم من المدّة ... حرم الله تعالىٰ عقد النكاح في العدّة بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ وهذا المحكم المجمع علىٰ تأويله، أن بلوغ أجله انقضاء العدّة»[6].

الفرع الآخر- الكتاب بمعنى الفرض:

الفرض في اللغة: الحز من الشيء، يقال: فرضت الرندَ والسواك، وفرض الزند: حيث يقدح منه، وفَرْضُ القوس: هو الحزّ الذي يقع فيه الوتر، والجمع فِراضُ، والفِراض أيضًا فُوّهة النهر[7]، المِفْرَض: الحديدة التي يُحَزّ بها، ومن باب

(1) ينظر: تهذيب اللغة 115/2، (مادة عدد).
(2) سورة الكهف من الآية (22).
(3) سورة البقرة من الآية (185).
(4) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العر ب من الكلوم 4281/7. (مادة: عدد).
(5) من الآية (235).
(6) 3/182.
(7) ينظر: الصحاح للجوهري 1097/3. (مادة: فرض).

اشتقاق الفرض الذي أوجبه الله تعالىٰ، وسمّي بذلك؛ لأن له معالم وحدود[1].

فرض الله الصلاة وافترضها، وحقك فرض ومفروض ومفترض، وفرّض الله الفرائض، وفي الحديث: «ألحقوا الفرائض بأهلها»[2]، وقد فرض فرضه، فهو فريض وفرض لفلان في اليوان إذا أثبت رزقه فيه[3].

ورد في كتاب الله تعالىٰ الكتاب بمعنىٰ الفرض في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾[4]، قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ فمعناه: فرض وأثبت عليكم، فهذا اللفظ يقتضي الوجوب من وجهين: أحدهما: أن قوله كتب يفيد الوجوب في عرف الشرع قال تعالىٰ: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾[5].

والوجه الآخر: أن قوله «كتب» فرض وألزم في قول الله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ﴾[6]، وقيل: هنا إخبار عما «كتب» في اللوح المحفوظ وسبق به القضاء[7]. وورد لفظ الكتاب بمعنىٰ الفرض في قول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[8].

وفي قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ ﴾[9]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾[10].

---

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة 489/4. (مادة: فرض).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الفرائض، باب: الميراث الولد من أبيه وأمه برقم (7632) 150/8.

(3) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري 17/2. (مادة: فرض)

(4) سورة البقرة من الآية (178).

(5) سورة البقرة من الآية (180).

(6) سورة البقرة من الآية (178).

(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 239/2-240.

(8) سورة البقرة من الآية (183).

(9) سورة النساء من الآية (66).

(10) سورة المائدة من الآية (54).

المطلب السادس- الكتاب بمعنى أعمال بني آدم والرزق والأجل.

الفرع الأول- الكتاب بمعنى الأعمال:

العمل معروف، والجمع الأعمال، وأصله مصدر، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾[1]، أي: سؤالك إياي أن أنجيه عمل غير صالح، وقرأ الكسائي ويعقوب: {عَمِلَ} بكسر الميم وفتح اللام ونصب {غيرَ} أي عمل عملا غير صالح، وهو اختيار أبي عبيد، قال: لأنه روي أنّ النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قرأ كذلك[2].

ومنه حديث النبيء -صلىٰ الله عليه وسلم- «أفضل الأعمال ألا يزال فوك رطبا بذكر الله»[3].

قال الله تعالىٰ في سورة المطففين: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[4]، يعني أعمال الأبرار، والأبرار: جمه برّ، وهم الذين برّوا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه، وقد كان الحسن يقول: هم الذين لا يؤذون شيئا حتىٰ الذّرّ[5].

الفرع الآخر- الرزق والأجل:

الرزق: رزق الله يرزق العباد رزقًا اعتمدوا عليه، وهو الاسم أخرج علىٰ مصدر، وإذا أخذ الجند أرزاقهم، قيل ارتزقوا رزقة واحدة أي مرة[6].

رزق معروف، رزق الله تعالىٰ، والرزق مصدر بفتح الرّاء، قال الراجز: وبث في هذا الأنام رزقه[7].

والأجل: مدة الشيء، يقال: فعلت ذاك كم أجلك، ومن اجلك بفتح الهمزة

(1) سورة هود من الآية (46).
(2) ينظر: شمس العلوم للمؤلف نشوان بن سعيد الحميري اليمني 4752/7.
(3) أخرجه البيهقي في الأدب برقم (857) ص 346.
(4) سورة المطففين الآية (18).
(5) ينظر: تفسير القرطبي 290/24.
(6) ينظر: العين 89/5. (مادة: رزق).
(7) ينظر: جمهرة اللغة 707/2.

وكسرها، ومن أجلاك، أي: من جرّاك والأجل أيضًا بالكسر: القطيع من بقر الوحش، والجمع الآجال، وتأجلت البِهامُ أي: صارت آجالا[1].

قال الله تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾[2]، يعني: أجلا ورزقا معلوما.

قال الطبري في تفسيره: إلا ولها أجل مؤقت ومدة معروفه، لا نهلكهم حتى يبلغوها، فإذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك، فيقول لنبيه -محمد صلى الله عليه وسلم- فكذلك أهل قريتك التي أنت منها وهي مكة، لا نهلك مشركي أهلها إلا بعد بلوغ كتابهم أجله؛ لأن من قضائي أن لا أهلك أهل قرية إلا بعد بلوغ كتابهم أجله[3].

وفي سورة آل عمران عند قول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا ﴾[4]، قال الزمخشري في الكشاف: «كتابا مصدر مؤكد؛ لأن المعنى: كتب الموت كتابًا مؤجلاً مؤقتًا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر»[5].

قال فخر الدين الرازي في تفسيره: «﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا ﴾ فيه مسائل:

الأولى قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا ﴾ منصوب بفعل دل عليه ما قبله فإن قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ قام مقام أن يقال: كتب الله فالتقدير كتب الله كتابًا مؤجلاً.

الثانية: المراد بالكتاب المؤجل الكتاب المشتمل على الآجال، ويقال: إنه هو اللوح المحفوظ»[6].

(1) ينظر: الصحاح 1621/4، (مادة أجل).
(2) سورة الحجر الآية (4).
(3) ينظر: تفسير القرطبي 65/17.
(4) سورة آل عمران من الآية (68).
(5) الكشاف 424/1.
(6) التفسير الكبير 379/9.

المطلب السابع- الكتاب بمعنى القرآن والتوراة والإنجيل.

قال الله تعالىٰ في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾[1]، بدل من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾[2]، وخبر إن هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف، وقال الكسائي سدّ مسدّه الخبر السابق والذكر القرآن، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ أي: كثير المنافع عديم النظير أو منيع لا تتأتّىٰ معارضتُه جملة حاليةٌ مفيدة لغاية[3].

قال الله تعالىٰ في سورة فصلت: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[4]، والجمهور علىٰ أنّ المراد بهذا الفريق بعض علماء اليهود الذين كانوا حول المدينة، وإن كان التشنيع عليهم يتناول كلّ من كان علىٰ شاكلتهم منهم ومن غيرهم، ويروون عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن هذا الفريق هم اليهود الذين قدموا علىٰ كعب بن الأشرف أحد زعمائهم الملحّين في عداوة رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- وإيذائه والإغراء به، غيّروا التوراة وكتبوا كتابًا بدّلوا فيه صفة رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- فأخذت قريضة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم وجعلوا يلؤون ألسنتهم بقراءته، ويوهمون الناس أنه من التوراة، وهذا العمل ينبئ بفساد عقيدتهم، وعدم استمساكهم بكتابهم[5].

قال الله تعالىٰ في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[6]، اعلم أن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- لمّا أورد علىٰ نصارىٰ نجران أنواع الدلائل وانقطعوا، ثم دعاهم إلىٰ المباهلة فخافوا، وما شرعوا فيها وقبلوا الصغار بأداء الجزية، وقد كان عليه السلام حريصا علىٰ إيمانهم، وفيه ثلاثة أقوال أحدهما: أنّ المراد بالكتاب هنا

(1) سورة فصلت من الآية (41).
(2) سورة فصلت من الآية (40).
(3) ينظر: تفسير أبي السعود 16/8.
(4) من الآية (78).
(5) ينظر: تفسير المنار 3/ 282-283.
(6) من الآية (64).

نصارىٰ نجران، والثاني يهود المدينة، والثالث: أنها نزلت في الفريقين[1].

الخاتمة:

بعد ذكر الوجوه والنظائر للفظ الكتاب في البحث تبين الآتي:

1. أن العلماء اعتنوا عناية شديدة بالأشباه والنظائر في كلمات القرآن الكريم، فألفوا في هذا العلم مؤلفات كثيرة.
2. أن لفظ الكتاب ذكر في القرآن الكريم في مواضع كثيرة كل موضع منها له معنىٰ يختلف عن الآخر.
3. للفظ الكتاب معنىٰ عندما يكون منفردًا سواء كان نكرة أو معرفة، وله معنىٰ آخر عندما يكون مقترنا مع غيره، سواء ذلك الاقتران بضمير أو كلمة.
4. عند النظر إلىٰ دلالة لفظ (أهل الكتاب) مقترنا كما في سورة آل عمران، نجد أن المراد به علماء اليهود والنصارىٰ، ويختلف هذا المعنىٰ إذا كان غير مقترن.

==========

مصادر البحث ومراجعه

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2. الآداب لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين المتوفى سنة 458هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1408هـ/1988م.
3. الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة الطبعة 1394هـ/ 1974م.
4. أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، جار الله الزمخشري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1419هـ/ 1998م.
5. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البلخي، المطبعة الهيئة المصرية للكتاب.

(1) ينظر: التفسير الكبير لفخر الدين الرازي 251/8.

6. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ.
7. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر - بيروت، الطبعة 1420هـ.
8. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة 1984هـ.
9. تفسير أبي السعود، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المكتبة التوفيقية، الطبعة الأولى، سنة 2013م.
10. تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الثانية 1434هـ/ 2013م.
11. تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، سنة 1418هـ/ 1997م.
12. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1990م.
13. التفسير الكبير للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المكتبة التوفيقية - القاهرة.
14. تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري، دار إحياء التراث العربي -بيروت-، الطبعة الأولى 2001م.
15. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار السلام، الطبعة الثالثة، سنة 1429هـ/ 2008م.
16. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، سنة 1422هـ/ 2001م.
17. جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1987م.
18. جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة 505هـ، تحقيق محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م.
19. حقايق التأويل في متشابه التنزيل، للشريف الرضي، دار الأضواء بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ/ 1986م.
20. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، دار الحديث - القاهرة.
21. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للمؤلف نشوان بن سعيد الحميري اليمني، دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1420هـ/ 1999م.
22. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، سنة 1407هـ، 1987م.
23. غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة، ويعرف بتاج القراء، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
24. غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى 276هـ، تحقيق أحمد صقر دار الكتب العلمية. سنة الطبع 1398هـ/ 1978م.
25. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار

الحديث - القاهرة، سنة الطبع 1427هـ/ 2007م.
26. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1416هـ/ 1996م.
27. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة.
28. قاموس المحيط لمج الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثامنة، سنة 1426هـ/ 2005م.
29. كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال.
30. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 1407هـ.
31. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
32. لسان العرب لابن منظور الأنصاري محمد بن مكرم بن علي، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة سنة 1414هـ.
33. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1422هـ ودار ابن حزم، الطبعة الأولى سنة 2002م.
34. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت.
35. معاني القرآن لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى.
36. مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسن، دار الفكر، سنة 1399 هـ/ 1979م.
37. النكت والعيون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت.
38. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ/ 1979م.